

تفسير ابن كثير

* أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ
بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

يقول تعالى : (أفطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي : ينقاد لكم بالطاعة ،
هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم
قست قلوبهم من بعد ذلك (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) أي :
يتأولونه على غير تأويله (من بعد ما عقلوه) أي : فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه
على بصيرة (وهم يعلمون) أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله ؟ وهذا المقام
شبيه بقوله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن
مواضعه) [المائدة : 13] . قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن
عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم ، ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم : (أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله) وليس قوله : (يسمعون كلام الله) يسمعون التوراة . كلهم

قد سمعها . ولكن الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها . قال محمد بن إسحاق : فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله تعالى ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال : نعم ، مرهم فليتطهروا ، وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتوا الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا ، فوقعوا سجودا ، وكلمه ربه تعالى ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ما سمعوا . ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل ، فلما جاءوهم حرف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا . قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله : إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم ، فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . وقال السدي : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال : هي التوراة ، حرفوها . وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق ، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق . فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكلیم موسى بن عمران ، عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله تعالى : (وإن أحد

من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [التوبة : 6] ، أي : مبلغا إليه ; ولهذا قال قتادة في قوله : (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) قال : هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه . وقال مجاهد : الذين يحرفونه والذين يكتُمونه هم العلماء منهم . وقال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم ، من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، فحرفوه عن مواضعه . وقال السدي : (وهم يعلمون) أي أنهم أذنبوا . وقال ابن وهب : قال ابن زيد في قوله : (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال : التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما ، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا ; إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ، فهو فيه محق ، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ، ولا رشوة ، ولا شيء ، أمروه بالحق ، فقال الله لهم : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) [البقرة :